

الاهداف غير المعلنة وراء حملة ايتان بشأن التلوث البيئي

د. جاد إسحق

طلع علينا في الاسبوع الماضي وزير البيئة الاسرائيلي رفائيل ايتان بحملة من الاتهامات الموجهة للفلسطينيين محملاً ايانا مسؤولية تلوث الاحواض الجوفية والاراضي الاسرائيلية، وانبرت ابواق وسائل الاعلام الاسرائيلية والاجنبية لهذا الموضوع وتناقلت هذا الموضوع بعد تضخيمه وتبهييره وقولبته واخرجه (لغرض ما في نفس يعقوب) محملين ايانا مشاكل التلوث البيئي في اسرائيل والشرق الأوسط ولن يكون مستهجنًا اذا ما طلع علينا احدهم ببذعة ان الفلسطينيين هم السبب في ثقب الاوزون (مع الاحترام لابي سليمان للاقتباس) ولم يكن من الضروري الرد على هذه الادعاءات لان الحقائق على الارض تفند هذه الادعاءات غير ان الرد اصبح ضرورياً على أمل ان يستفيد من الحقائق التي سيتم عرضها هنا الاخوة اعضاء الكنيسة العرب ومحبي السلام للرد على ادعاءات الوزير ايتان حيث ان الكنيسة الاسرائيلي سيجتمع في الاسبوع القادم لمناقشة هذا الموضوع "الخطير" باعتباره احد "الانتهاكات" الفلسطينية لاتفاقات اوسلو وتمت دعوة عدد من الخبراء الاسرائيلين للدلاء بشهاداتهم وتقييماتهم للموضوع.

وبادى ذي بدء فإن الحقائق تشير الى ما يلي:

1) ان المستعمرات الاسرائيلية في الضفة والقطاع لا يوجد بها اي وحدة معالجة للمياه العادمة بينما في معظمها شبكات تجميع للمياه العادمة تقوم ببيت سمومها في الاراضي الفلسطينية معرضاً اياها للتلوث.

محافظة الخليل

- تتدفق المياه العادمة الصناعية وخاصة تلك الناتجة من مصانع الخمور التابعة لمستعمرة كريات أربع وبشكل متواصل منذ 7 سنوات بالقرب من شارع الخليل - بني نعيم محدثة أضرار بليغة بكروم العنب وبعض المساكن العربية التابعة لقرية بني نعيم.

- تتدفق المياه العادمة الناتجة من معسكر المجنونة بالقرب من دورا ومنذ زمن طويل بالقرب من آبار المياه لبلدة دورا مما يؤدي الى تلوث هذه الابار.

محافظة بيت لحم

- يتدفق سيل من المياه العادمة من دانيال وأفرات عبر أراضي زراعية تابعة لاهالي قرية الخضر مما أدى الى تلوث ما يزيد على 30 دونماً من كروم العنب في المنطقة.
- تتدفق المياه العادمة من مستعمرة جيلو على اراضي قرיתי الولجة وبيت صفافا العربيتين.

محافظة القدس

- تتجمع المياه العادمة التابعة لمستعمرة معالية همشاه الواقعة داخل الخط الاخضر في اراضي قرية قطنة مسببة اضراراً جسيمة بالمزروعات ومؤدية الى انتشار الحشرات والروائح الكريهة.
- ان المياه العادمة الناتجة من مستعمرة النبي يعقوب تمر خلال اراضي قرية حزمة ومنتهية عند عين الفارعة مما ادى الى تلوث هذا النبع واتلاف الاراضي الزراعية.

محافظة نابلس

- تقوم مستعمرة برقان بما فيها المنطقة الصناعية التابعة لها بضخ مياه المجاري بالقرب من اراضي برقين وكفر الديك وسرطة مسببة اضراراً بيئية جسيمة للمنطقة.
- ان المياه العادمة التابعة للمستعمرات الاسرائيلية الثلاث ياكير، قارنا شمرون وعمانوييل تتدفق في وادي قانا مؤدية الى تلوث هذا الوادي ومحدثة اضراراً بيئية جسيمة.

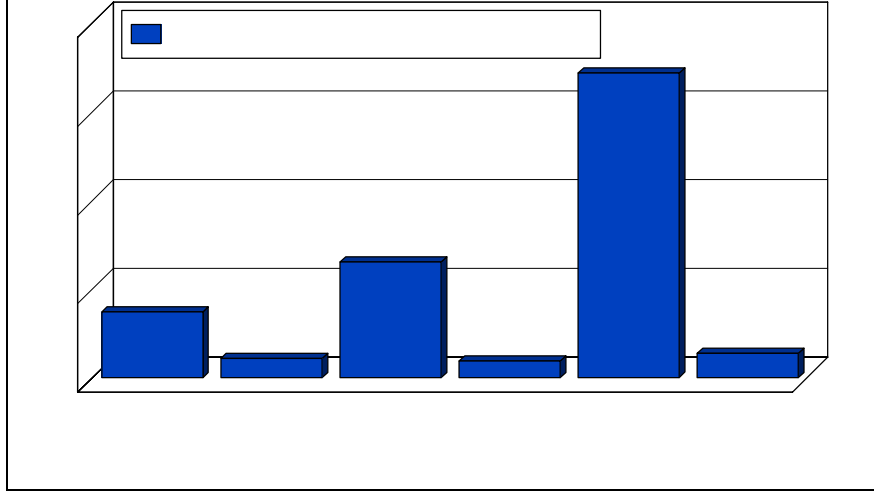
- كما تتدفق مياه المجاري من مستعمرة أرئيل خلال اراضي سلفيت ومنتية في وادي المطوي.
- تتدفق المياه العادمة من مستعمرة اجرمان على قرية ازبيدات.

محافظة طولكرم

- تتدفق المياه العادمة التابعة لمستعمرة ألفية منشية خلال اراضي قرية حبله ومدينة قلقيلية مؤدية الى تدمير الاراضي الزراعية والى تلوث مصادر المياه في المنطقة.
- كما وتعاني مدينة قلقيلية من وجود برك لتجميع المياه العادمة الناتجة من مستوطنة تسور إيال الواقعة داخل الخط الاخضر حيث أدى وجود مثل هذه البرك الى ظهور الامراض وتكاثر الحشرات والبعوض في المنطقة هذا بالاضافة الى الروائح الكريهة المنتشرة في المكان.

أما الخارطة المرفقة فتبين مسار المياه العادمة التي تتدفق في الضفة الغربية ومصدرها الرئيسي هو المستعمرات الاسرائيلية والقرى والمناطق العربية المتضررة.

وبهذا الصدد فإن الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة يستهلك اضعاف ما يستهلكه المواطن الفلسطيني من مياه للاغراض المختلفة والشكل التالي يوضح الفرق الهائل في استهلاك المياه بين الاسرائيلي والمواطن الفلسطيني.



2) لقد كانت اسرائيل مسؤولة عن كافة شؤون الضفة الغربية وقطاع غزة طوال 27 عاماً غير انها طوال هذه الفترة ليس فقط لم تهتم بالشؤون البيئية في المناطق الفلسطينية وانما كثفت من سياستها الاستيطانية التوسعية فصادرت الاراضي وقطعت الاشجار واستنزفت الموارد المائية وبنيت المستوطنات واقامت الطرق الهادفة الى خدمة المستعمرين اساساً في حين انها كانت تستنزف الانسان الفلسطيني وتحمله الضرائب الباهظة فاين ذهبت هذه الضرائب؟ ولماذا لم تنشر اسرائيل ميزانية للضفة الغربية وقطاع غزة طوال 25 سنة من الاحتلال؟

ان الاجابة على هذين السؤالين بسيط للغاية فقط ذهبت معظم الميزانية لخدمة المحتلين وتركت البلديات والمجلس القروية الفلسطينية لتبحث عن الدعم العربي والاجنبي لمواجهة آثار الاحتلال وسياساته.

واليوم بعد سنتين من استلام السلطة الفلسطينية تريد اسرائيل محاسبتنا متجاهلة ما فعلته والحقيقة الساطعة هي ان السلطة الوطنية الفلسطينية ومن خلال سلطة المياه الفلسطينية والمجلس الاقتصادي الفلسطيني للتنمية والاعمار قد عكفت خلال العامين الماضين على تبني برنامج شامل لتأهيل البيئة التحتية الفلسطينية التي دمرها الاحتلال غير ان التأهيل واعادة البناء لا يمكن ان تنجز خلال سنة او سنتين.

والجدير ذكره هنا ان من بين 16 مشروع قدمت من الجانب الفلسطيني لمد شبكات مجاري ومحطات معالجة في التجمعات السكانية الفلسطينية قامت اسرائيل بالموافقة على مشروع واحد فقط من خلال لجنة المياه المشتركة، فعلى عاتق من يا ترى تقع المسؤولية؟

(3) تقوم اسرائيل بصب المياه المالحة والملوثة في الجزء الجنوبي من نهر الاردن محولة اياه الى مجمع للنفايات السائلة وحارمة الفلسطينيين من حقوق المشاطنة في مياه هذا النهر والذي تضمنه الشرعية الدولية.

فهل يتناسى الوزير ايتان هذه الحقيقة ام يتناساها؟

من الواضح اذن ان المستوطنات والسياسات الاحتلالية هي مصدر التلوث الرئيسي والتدهور البيئي ولاشك في ان ايتان يدرك هذا في قرارة نفسه غير انه يستغل البعد البيئي لاغراض سياسية وحقيقة الامر هي ان ايتان يريد من الجانب الفلسطيني من خلال طروحاته هذه ان يوافق على مشاريع مشتركة لمعالجة المياه العادمة في المستعمرات بشكل عام والقدس بشكل خاص وذلك بهدف اضعاف الشرعية على السياسة الاسرائيلية الاستيطانية في الاراضي الفلسطينية بما في ذلك محاولات ضم القدس، فالدافع الحقيقي وراء اهتمام ايتان بالتلوث البيئي هو دافع سياسي مكشوف والجانب الفلسطيني أدرك هذا جيداً منذ البداية ولم ولن يتساق مع هذه الطروحات.

اننا ندرك بان المياه هي مصدر نادر وشحيح في هذه المنطقة وان الاحواض الجوفية والمياه السطحية يجب المحافظة عليها ونحن على استعداد لتحمل المسؤولية في هذا المجال غير اننا نطالب اسرائيل ايضاً باحترام متكافئ لمبدأ المحافظة على البيئة ومنع انتقال الملوثات وعلى اسرائيل ان تدرك ايضاً مرجعية عملية السلام وهي قرارات الامم المتحدة 242 و 338 ومبدأ الارض مقابل السلام الامر الذي يعني الاقرار بالسيادة الفلسطينية على الارض والمياه.

وإذا كانت اسرائيل معنية بالمحافظة على البيئة فإن عليها أولاً وقبل كل شيء تزويدنا بالمعلومات عما يجري في المستوطنات من نشاطات لنعرف مدى ما تستنزف من مياه وما تبعثه من ملوثات وفي حين ان اسرائيل التزمت ضمن اتفاقية اوسلو بتزويد الجانب الفلسطيني بكافة المعلومات المتعلقة بالمياه والمجاري الا انها لم تنفذ ما وقعت عليه حتى الآن

واننا ندرك ايضاً بأن المحافظة على الاحواض المائية المشتركة سواء السطحية او الجوفية تتطلب مسؤولية مشتركة تعتمد على الاستخدام المتكافئ للموارد المائية والمسؤولية المشتركة للحفاظ عليها غير ان اسرائيل تقوم بالاستيلاء على ما يزيد عن 85% من المياه الفلسطينية متجاهلة حقوق المياه الفلسطينية التي اعترفت اسرائيل بها في اتفاقية اسلو على ان يتم التوصل لاتفاق حولها في مفاوضات الحل الدائم.

وبعد فانني أمل ان تتحلى وسائل الاعلام بالموضوعية العلمية قبل كيل الاتهامات جزافاً وتحميل الفلسطينيين مسؤولية اشياء هي ليست من صنعهم وادعو الوزير ايتان بالكف عن هذه المهاترات التي لا تسهم في دعم عملية السلام المتعثرة بسبب المواقف الاسرائيلية المتعنتة اذا كانت رغبته الحقيقية هي دفع المسيرة السلمية اما اذا كان موقفه هو عكس ذلك فقد يتفهم المرء الدافع الحقيقي وراء هذه الاتهامات وفي هذا الزمن الردئ الذي يصبح فيه من نعت الفلسطينيين بالصراصير وزيراً فليس من الغريب ان تكال ضدنا اتهامات جديدة.